إمكانية المعرفة اللسانية التراثية : قراءة نقدية لبعض النماذج اللسانية العربية في ضوء إبستمولوجيا كارل بوبر

عابد دروش[1]
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي - تسمسيلت الجزائر
drouche.abed@cuniv- tissemsilt.dz

محمد مصابيح[2]
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي - تسمسيلت الجزائر
messabihmah@gmail.com

تاريخ التسلم: 24/ 06/ 2019 تاريخ القبول: 13/ 10/ 2019

الملخص:

منذ أن ظهرت اللسانيات الوصفية في دوائر البحث اللغوي العربي، حدث تنافس علمي بين أنصار النظرية اللغوية القديمة وأنصار التجديد اللساني، واتسعت الهوة بين الفريقين، فظهر فريق ثالث حاول الجمع بين النظريتين، فنتج ما يعرف بنظرية: "لسانيات التراث".

وقد تنوعت الدراسات في هذا المجال بين القراءات الاستلهامية التي كان هدفها تبرير أسبقية النظرية اللغوية القديمة في اكتشاف هذه المسائل اللسانية الجديدة، وبين القراءات الإبداعية التي كشفت جوانب علمية في مدونة التراث اللغوي وقاربتها في ضوء المناهج اللسانية الغربية، لذلك سيحاول هذا البحث دراسة مدى إمكان تحقق هذه النظرية من خلال قراءة بعض النماذج اللسانية، إضافة إلى ذلك سنبين طابعها المنهجي الذي يسمح بتطورها وتقدمها؛ كل ذلك سنقاربه إبستمولوجيا في ضوء مبادئ الفلسفة العلمية لكارل ريموند بوبر.

الكلمات المفاتيح : اللّسانيّات - التّراث - استلهاميّة - إبداعيّة - قابليّة التّكذيب.

La possibilité de connaissance linguistique traditionnelle : lecture critique de certains modèles linguistiques arabes à la lumière de l'épistémologie de Karl Popper

Résumé:

Depuis que la linguistique descriptive est apparue dans les milieux de la recherche linguistique arabe, il y a eu une compétition scientifique entre les partisans de l'ancienne théorie linguistique et les partisans du renouveau linguistique, Et élargissant le fossé entre les deux équipes, une troisième équipe est apparue essayant de combiner les deux théories, aboutissant à ce que l'on appelle la théorie: «linguistique du patrimoine». Les études ont été variées dans ce domaine entre les lectures inspirantes destinées à justifier la primauté de l'ancienne théorie linguistique dans la découverte de ces nouvelles questions linguistiques et les lectures créatives révélant les aspects scientifiques du Corpus du patrimoine linguistique et sa proximité à la lumière des approches linguistiques occidentales, Par conséquent, cette recherche tentera d'étudier la possibilité d'atteindre cette théorie en lisant certains modèles linguistiques et en démontrer le caractère méthodologique, qui en permet le développement et le progrès, accompagné d'une épistémologie à la lumière des principes de philosophie scientifique de Karl Raimund Popper.

Mots clés: Linguistique du patrimoine - Progrès de la linguistique - Études d'inspiration - Études créatives - Discussion critique - Falsifiabilité.

The Possibility of Traditional Linguistic Knowledge : Critical reading of some Arabic linguistic models in the light of Karl Popper's epistemology

Abstract:

Since descriptive linguistics appeared in the Arab linguistic research circles, there has been a scientific competition between the supporters of the old linguistic theory and the advocates of linguistic renewal, And widened the gap between the two teams, a third team appeared to try to combine the two theories, resulting in what is known as the theory: **' heritage linguistics '**. Studies have been varied in this field between the inspirational readings, which were intended to justify the primacy of the old linguistic theory in the discovery of these new linguistic issues, and the creative readings that revealed scientific aspects in the Code of Linguistic Heritage and its proximity in the light of Western linguistic approaches, Therefore, this research will attempt to study the extent to which this theory can be achieved by reading some linguistic models. In addition, we will demonstrate its methodological nature, which allows for its development and progress. will be presented in light of the principles of the scientific philosophy of Karl Raimund Popper.

Keywords: heritage linguistics- Progress of linguistics- Inspirational studies- creative studies- Critical discussion- Falsifiability.

مقدمة:

لاتزال قضيّة التّراث اللّغوي هاجسا حقيقيًّا للمهتمّين به على مستوى دوائر البحث العلمي المختلفة، حتّى مع التّقدّم الّذي نلمسه في الدّراسات اللّسانيّة الجديدة، والّتي باتت ثورة علميّة حقيقيّة نافست النّظريّة اللّغويّة القديمة من خلال نماذج علميّة متعدّدة؛ منها: النّموذج البنيوي، النّموذج التّوليدي التّحويلي، النّموذج العرفاني، النّموذج التّداولي. ومنذ ظهور مفاهيم وتصوّرات المناهج اللّسانيّة الغربيّة في أوساط الأكاديميّين العرب بدأت تتشكّل بوادر التّنافس بين دعاة المحافظة على التّراث اللّغوي، ودعاة التّجديد اللّساني الدّاعين إلى تجاوز النّظريّة اللّغويّة القديمة، والّتي رأوها غير صالحة ومسايرة لمتغيرات العصر وحركة التّطوّر العلمي؛ وتزامن ذلك التّنافس مع ظهور اتّجاهات ومذاهب جديدة تحاول وصف نظام اللّغة العربيّة أو تفسيره وفق المناهج العلميّة اللّسانيّة الجديدة، وأخرى رأت الحلّ في تقريب الرؤيتين والاستفادة منهما.

وإذا ما نظرنا في تاريخ هذا العلم لدى العرب، نجد اللسانيّين العرب على اختلاف توجّهاتهم ينقسمون إلى ثلاثة فرق؛ فريق حاز قصب السبق في تمثّل النظرية الوصفيّة السّوسورية وانبهر بكلّ ما حملته هذه الثّقافة اللّسانية الوافدة، وسارع إلى تقليد النّظرية الغربية حتّى في تعاملها مع تّراثها اللغوي الغربي القديم، ويمثّل هذا الفريق أنيس فريحة وريمون طحان وعبد الرحمن أيوب وغيرهم. والفريق الثّاني كان يبحث عن أصول هذا العلم الغربي الجديد في مدوّنة التّراث، ويحاول جاهدا أن ينسب كلّ مسألة نظريّة جديدة في اللّسانيات إلى سبق العرب والمسلمين في اكتشافها أو اكتشاف بعض جوانبها، وكثيرون هم الّذين يمثلون هذا الفريق. أمّا الفريق الثّالث فهو الّذي تمثّل اللّسانيات الغربية تمثُّلا علميًّا وموضوعيًّا، مع إحاطته بالتّفكير اللّغوي القديم؛ حيث سعى هذا الفريق إلى تطبيق المناهج الجديدة في اللّسانيّات على التّراث اللّغوي، وسعى إلى إغناء لسانيّات اللّغة العربية بدراسات نظريّة تختلف في شموليّتها وطابعها العلمي، ويمثّل هذا الفريق عبد الرحمن الحاج صالح وتمام حسان ومازن الوعر وعبد السلام المسدي ونهاد الموسى وغيرهم، وقد نتج عن دراساتهم محاولات لصهر الثّقافتين معا في نظريّة اختلفت توجّهاتها، ولكنّها كانت مؤطّرةً بنموذج إبستمولوجي هيمن عليه: **"التّفكير اللّساني التّراثي".**

ولكن هل هذا التّفكير الجامع بين رؤيتين يجعل **"نظريّة لسانيّات التّراث"** ممكنة الوجود حقيقة وعلما؟

وبما أنّنا سنقارب هذه الدراسة في ضوء إبستمولوجيا فيلسوف العلم كارل بوبر، فيمكننا صياغة الإشكاليّة السّابقة صياغة إبستمولوجيّة لنحاول الإجابة عنها:

- ما مدى إمكان تحقّق المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة القادرة على تفسير نظام اللّغة العربيّة؟ وهل يمكن منطقيًّا وإبستمولوجيًّا الجمع بين نظريّتين مختلفتي التّوجّه من أجل تشكيل نسق علميّ واحد يعكس توجّه نظريّة **"لسانيات التّراث"؟**

- ما هو المنهج العلمي الّذي يمكننا من تحقيق نظريّة لسانيّات التّراث؟ وما هي المبادئ الإبستمولوجية المساعدة على ذلك؟ وهل سيكون الطّابع العلمي لهذه النّظريّة تحليلياً أم تركيبياً؟

وهدفنا من هذا البحث دراسة سبل تحقّق المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة، وبيان المنهجيّة والمبادئ المناسبة إبستمولوجيًا في تحقيق ذلك، وقد اتّبعنا في هذه الدّراسة المنهج التّحليلي النّقدي، والّذي ساعدنا في ذلك إبستمولوجيا كارل بوبر ذات الطّابع التّحليلي والنّقدي.

1.مدخل تمهيدي للتّعريف بإبستمولوجيا[1] كارل بوبر

يعد الفيلسوف **كارل ريموند بوبر Karl Raimund Popper** أشهر فلاسفة العلم في القرن الماضي، حتّى أطلق عليه لقب: فيلسوف القرن العشرين، لأنّه مستقل بفلسفة خاصّة لا تتبع المذاهب الفلسفيّة القديمة ولا العصريّة، كما أنّ فلسفته العلميّة تعدّ منهجا يصلح للعلوم الطّبيعيّة والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، وهو من الإبستمولوجيّين القلائل الّذين يساهمون في طرح أسئلة تحتمل البينيّة العلميّة ولها اتّصال وثيق بالقضايا الفلسفيّة(ينظر: بولكنجهوم، 1998م، ص 22)، كما أنّ فلسفته العلميّة تتميّز بطابعها النّقدي؛ لذلك كان من أكبر اهتماماته البحث في شروط تقدّم العلم من خلال النّقد الإبستمولوجي، وتقوم فلسفته العلميّة على عدّة مبادئ نبيّنها باختصار.

1.1.مبدأ المناقشة العقلانيّة النّقديّة

يعد مبدأ المناقشة العقلانيّة النّقديّة من أكثر المبادئ الّتي أكّد عليها بوبر في دراساته؛ فهو يقوم على فكرة التّنافس العلمي والصّراع الحضاري لتطوير المجتمعات المفتوحة، وهو فوق ذلك يؤكّد على فكرة التّقدّم العلميّ المبني على تنافس النّظريّات العلميّة، وذلك بتعريضها لأقصى درجات الاختبار لمعرفة مدى صمودها. ولأهمّيّة هذا المبدأ في فكر بوبر الإبستمولوجي جعله محورا لتفكيره النّقدي؛ حيث ينوّه به قائلا: "إنّ إبستمولوجيتي تعني أنّ العلوم الطبيعيّة لا تبدأ "بقياسات" وإنّما بأفكار كبيرة، وأنّ التّقدّم العلميّ لا يكمن في تجميع وقائع وتوضيحها، وإنّما في أفكار ثوريّة جسورة، تُنْقَد بعدئذ بحدّة وتُخْتَبَر"(بوبر، [د ت]، ص 117)، ويقصد بالأفكار الكبيرة المشكلات العلميّة والأزمات المعرفيّة الكبرى، الّتي تملك في الغالب من يؤيّدها بدعم وتأييد النّظريّة، وتملك جوانب سلبيّة تجعلها مرمى لسهام النّقّاد.

2.1.مشكلة التّمييز بين العلم واللّاعلم

ناقش كثير من الإبستمولوجيّين علاقة المعرفة الميتافيزيقيّة بالمعرفة العلميّة، وممّن ناقشها وحاول نقضها وإخراجها نهائيًّا من دائرة البحث العلمي فلاسفة الوضعيّة المنطقيّة. ولأنّ هذه المعرفة يتخلّلها التّفكير اللّغوي العادي المضلّل والخرافة والكذب والمجاز، وضعوا معيارا فارقا بينها وبين المعرفة العلميّة، وهو: **"معيار التّحقّق"** القائم على المنهج الاستقرائي؛ ويعد هذا المعيار محورا دارت حوله كلّ دراسات الوضعيّين؛ حيث يمكننا من خلاله التّأكّد من صدق هذه القضايا؛ وذلك بمطابقتها للواقع التّجريبي معنى ودلالة، الأمر الّذي يمكّننا من الحكم عليها بالصّدق أو الكذب، أمّا القضايا الفارغة

من المعنى فلا يمكن الحكم بصدقها أو كذبها أصلًا؛ لأنّها قضايا معياريّة وميتافيزيقيّة، ولذلك لا تخضع لمعيار التّحقّق(ينظر: عكّاشة وآخرون، 2012، ص 506)، وهذا ما يجعلها بعيدة كلّ البعد عن تشكيل النّسق العلمي أو تفسير النّظريّة. ولكن كارل بوبر مثله مثل غيره من الفلاسفة والنّقّاد كان من أشدّهم نقدا لمعيار التّحقّق؛ فهو يرى أنّ مشكلة التّمييز بين العلم واللّاعلم أهمّ مشكلة ومصدر كلّ المشكلات الأخرى المتعلّقة بنظريّة المعرفة(ينظر: بوبر، [د ت]، ص 71)، لذلك أكّد على أنّ معيار التّمييز الّذي بناه الوضعيون على الاستقراء لا يفي بمتطلبات التّفسير العلمي، وفيه إجحاف بكثير من القضايا العلميّة، ولا يمدّنا باليقين العلمي التّام في تفسير القضايا والنّظريات العلميّة؛ لأنّه يحكم بصدق القضايا الكلّيّة استنادا إلى إطلاق الخبرة اليقينيّة على آليات الملاحظة والتّجربة، والّتي قد تضلّلنا أحيانا وتوقعنا في شراك المعرفة الزّائفة.

وإذا لم يكن **"معيار التّحقّق"** هو معيار التّمييز بين ما هو علمي وما هو غير علمي لدى بوبر، فما هو المعيار الّذي يعتمده؟

3.2.معيار قابليّة التّكذيب

كلّ النّقد الّذي وجّهه كارل بوبر لمعيار التّحقّق لدى الوضعيّين؛ كان لأجل بيان قصورها في تمييز العلم من اللّاعلم، وبذلك هيّأ الوضع لطرح معيار يتناسب مع فلسفته العلميّة؛ وإن كان ديدن الوضعيّين المناطقة إثبات صدق النّظريّة بتأييدها، فإن بوبر كان له نفس الهمّ ولكن بتكذيبها، ولأجل ذلك صار **معيار قابليّة التّكذيب**[2] هو المميّز للعلم من اللّاعلم لديه. والملاحظ أنّ كارل بوبر عكس طريقة التجريبيّين والوضعيّين في قضية المنهج العلمي؛ فإذا كان عندهم ينطلق من الملاحظة ليصل إلى النّظريّة من خلال تعميم القضايا أو بأي طريقة من طرق الاستدلال الاستقرائي، فإنّه عند بوبر ينطلق من الاستنباط إلى وضع الفرضيّات إلى انتخاب النّظريّات عن طريق الحذف والتّكذيب(ينظر: بوبر، 1992، ص 141)، وبالتّالي يكون المبدأ الّذي يميّز النّظريّات والأنساق والقضايا العلميّة من الأخرى اللّاعلميّة والزّائفة هو: **"معيار قابليّة التّكذيب"**؛ وللنّجاح في تطبيق هذا المبدأ يضع لنا كارل بوبر مخطّطا نسير في ضوئه، وسنجمله في النّقاط الآتية(ينظر: بوبر، [د ت]، ص 77):

1 - عدم الاعتراف بالاستقراء، كما أنّه ليس من المنطق الاستدلال بتعميماته في إثبات صحّة القضايا.

2 - السّماح بكلّ القضايا القابلة للتّحقيق والّتي لا يمكن تحقيقها؛(الّتي لها معنى والّتي ليس لها معنى).

3 - لا تكون النّظريّة علميّة إلّا إذا كانت قابلة للاختبار عن طريق الخبرة.

وتعدّ النّقطة الثّالثة هامّة جدًّا في إبستمولوجيا بوبر، فلن يتحقّق **"معيار قابليّة التّكذيب"** إذا لم يكن هناك اختبار للقضايا المنتخبة والمشكّلة للنّسق العلمي ابتداءً: الفرضيّات، النّتائج الأوّلية، القضايا المشتقّة...إلخ؛ فالتّكذيب مرتبط بالاختبار؛ وكلّما كان النّسق العلمي قابلا للتّكذيب زاد محتواه المعرفي، وكلّما زاد المحتوى المعرفي زاد احتمال تعرّضه للاختبار(ينظر: قاسم، 1986، ص 175).

2.أزمة التنافس العلمي بين أنصار اللّسانيّات وأنصار التّراث اللّغوي

لا يمكن لأحد أن ينكر التّنافس العلمي بين أنصار اللّسانيّات وأنصار التراث اللّغوي، والّذي لا تزال بعض جوانبه وآثاره تخيّم بظلالها على ساحة البحث اللّساني؛ في مراكز البحث والجامعات والمخابر العلميّة وعلى مستوى الفعاليّات والأشخاص والمؤلفات. ومنذ أن ظهرت اللّسانيّات في الأوساط العربيّة لمسنا مبادرات علميّة أسهمت في تقدّم هذا العلم، واستفاد كثير من اللّسانيّين من النقد العلمي وتجاوزوا الأخطاء وعملوا على تقريب الرؤى العلميّة وتوحيد الجهود، لكن لا يزال أمل قيام نظريّة متكاملة في: **"لسانيّات التّراث"** لها منهجها وآلياتها ومبادئها حلما قائما، وذلك راجع لأسباب منها:

1 - ثراء مدوّنة التّراث اللّسانيّة وضخامتها، لاشتمالها على علوم اللّغة العربيّة وعلوم الشّريعة وعلوم الحقيقة؛ بمعنى أنّها مدوّنة بينيّة ومتداخلة الاختصاص؛

2 - البحث والتّنقيب في هذه المدوّنة يستعصي على المجهود الفردي، خاصّة إذا راعينا جانب البحث في المقوّمات العلميّة وغير العلميّة لهذه المدوّنة المشكّلة لنسقها المعرفي؛

3 - التّفرّد بالآراء والاستقلاليّة وإهمال الخبرة الجماعيّة للباحثين في البحث وعدم مراجعة اللّسانيّين لبعضهم البعض؛ لأنّ العلم يقوم على الحسّ المشترك ويتطوّر في مجتمعات البحث العلمي؛

4 - كثرة الدّراسات الإسقاطيّة الّتي تهدف إلى تأصيل وتأثيل المفاهيم والمصطلحات الغربيّة دون مساءلة أو اختبار لمدى نجاعتها؛

5 - عدم وجود فلسفة وإبستمولوجيا خاصّة بلسانيّات التّراث، لأنّ الفلسفة صدى للعلم وميدان خصب لإبداع مفاهيمه ونحت مصطلحاته، وكذلك الإبستمولوجيا تحلّل قضاياها وتنقدها لتبيّن وظيفيّتها في الجانب النّظري وإجرائيتها في الجانب التّطبيقي.

لا شكّ أنّنا نريد أن نقرّب بين النّقيضين المتنافسين، وهذا التّقريب يخلق لنا إشكاليّة جدليّة تفيد في تأسيس العلم؛ والإشكالية كما هو معروف في الفلسفة الدياليكتيّة تحوي نوعا من التّناقض، وإلّا لما وجدت إشكالية مع الوفاق وتوحّد الأفكار؛ ولكنّ "الاختلاف لا يؤدّي دائما إلى صراع ثمّ ضعف، فهو يؤدّي أيضا إلى زيادة القوّة الّتي بدورها تؤدّي إلى التّقدّم والرّقي"(الجزار، 2004، ص 71)؛ لذلك ينبغي فهم التّناقض والاختلاف هنا على أنّه نوع من التّنافس العلمي المحمود الّذي يوصل الباحثين في حقل لسانيّات التّراث إلى رؤى موحّدة أو شبه موحّدة تعتمد في فترة زمنيّة معيّنة تؤطّر تفكيرهم اللّساني؛ فلا بدّ للعلماء في حقل معيّن من نموذج علمي جديد(تفكير عربي تراثي لساني) يكسر النّموذج القديم المسيطر(التّفكير الميتافيزيقي في نظام اللّغة) أو يقوم بتطويره على عدّة مستويات.

إنّ المزيد من البحث وإدمان التقصّي الدّائم في منظومة التّراث والمعرفة اللّسانيّة الجديدة، من شأنه أن يردم الهوّة بينهما ويقرّب النّظريّات إلى حقيقة علميّة نسبيّة، كما أنّه يقود إلى التّراكم المعرفي من جديد وخلق صراعٍ متجدّد بين النّظريّات، وهذا عين ما قرّره الفيلسوف الدياليكتي **جورج فيلهلم فريدريش هيغل Georg Wilhelm Friedrich Hegel**؛ فهو "يطلق الجدل على حركة عقليّة تؤدّي إلى

زوال عزلة الحدّين المتعارضين واندماجهما في وحدة أعلى. وبهذا يصبح الجدل علما وفنّا لاستخلاص كل ما هو حقيقي في الأفكار في العقل والتّاريخ"(الفندي، 1972، ص 84). وإن كنّا سنستفيد من قوله: **"واندماجهما في وحدة أعلى"** من إمكان تحقّق نظريّة **"لسانيات التّراث"** بتسامها عن الطرفين المتنافسين وتحقيق ذاتيتها، خصوصا إذا علمنا أنّ **هيغل** اهتمّ كثيرا بفلسفة التّراث التّاريخي، ليبني عليها حقائق توصله إلى اليقين العلمي الّذي يمكّنه من تفسير المعرفة المستقبليّة أو ما يسمّيه بالمطلق، فإننا نضع خطّين أو علامة استفهام عند قوله: **"لاستخلاص كل ما هو حقيقي في الأفكار"**؛ لأنه ليس هناك ما هو حقيقي في الفكر أو العلم، أو بتعبير آخر، لا يمكن أن نتوصّل إلى الصّدق العلمي، بل يمكننا مقاربته فقط، ليبقى المجال مفتوحا نحو التّقدّم العلمي.

3.المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة وإمكان التّحقّق

اللّسانيات هي علم غربيّ بامتياز، لا يمكن أن يجادل في ذلك اثنان، وإن كان له أصول في سائر التّفكير اللّغوي البشري القديم، فالاعتراف بجهود الآخرين يجعلنا نستفيد منها أكثر وأكثر، من دون أن نبطلها نهائيّا أو نقذفها بأنّها غزو غربيّ مبطّن وهكذا. نعم قد يكون في هذه النّظريّات الغربيّة الوافدة ما يخالف معتقداتنا وقيمنا وثوابتنا، ولكن الاحتدام بين هذه الرؤى؛ والّتي يمكن أنّ نعدّها فرضيّات ومعطيات هي بحاجة للبرهنة من أجل قبولها والاستفادة منها وتطويرها في ضوء المعطيات التّراثيّة الّتي نملكها، أو بتعبير آخر عرضها على مدوّنة التّراث اللّسانيّة والفكريّة والثّقافيّة وخلق صراع علميّ (بمعنى التّنافس العلمي) بينهما من خلال المحاورة الفكريّة العقلانيّة والمتبوعة بالنّقد، وتنويع التّجارب المتبوعة باختيار التجارب المثلى، وتكرار المحاولات النّظريّة بطرق مختلفة وإبعاد الأخطاء. ويمكننا أن نقول إنّ المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة لا يمكن لها أن تتقدّم فعليًّا إلّا إذا انطلقت من مشكلة أو مجموعة من المشكلات العلميّة الّتي تبعث في اللّسانيّين روح البحث العلمي، لذلك ينبغي على الأكاديميّات اللّسانيّة ودوائر البحث اللّساني أن تضع في حسبانها هذه القضيّة الّتي تفجّر الكثير من الحلول وتطرح العديد من القضايا الوظيفية، ومن خلال المناقشة العقليّة النّقديّة واختبار النّظريّات والاستناد بعد ذلك إلى آليات الملاحظة والتّجريب نتوصّل إلى تفنيد ما هو كاذب وغير صالح للمعرفة اللّسانيّة.

وقد تكون المشكلة المعرفيّة نابعة من ضرورة ملحّة فرضتها علينا المعرفة الكوكبيّة؛ مثلما هو الحال في: نظريّة **"لسانيات التّراث"**؛ حيث خلق التّنافس العلمي بين أنصار التّراث اللّغوي وأنصار التّجديد اللّساني الكثير من الأزمات المعرفيّة الّتي لايزال اللّسانيون يناقشونها في مؤلّفاتهم ذات الاهتمام أو في خضم الفعاليّات العلميّة المتنوعة، ومن أبرزها: مشكلة التّراث الخالد الّذي لا يقبل التّجديد، والجديد الّذي لا يقبل ما هو علمي في التّراث؛ أو هي بتعبير إبستمولوجي: **"إشكاليّة القطيعة المعرفيّة"**. ولكن لكي نتجاوز هذه الأزمات ونلحق بركب الحضارة ونواكب التّطوّر العلميّ علينا الأخذ بالمسايرة العلميّة بعد الانتخاب والتّمحيص والنّقد، وفي هذا الصّدد يقول توماس كون: " لنفترض إذن أنّ الأزمات شرط أوّلي ضروري لانبثاق نظريّات جديدة، ولنسأل أنفسنا بعد ذلك كيف يستجيب العلماء لهذه الأزمات عند حدوثها"(كون، 1992، ص 115)، فالعلم تطور وتقدّمت نظريّاته بفعل

النماذج الإرشادية الّتي يكتشفها العلماء بسبب التّراكم الّذي تحدثه الدّراسات، وبالتّالي يصل العلم إلى درجة من التوتّر والتّأزّم تنهار معها النماذج القديمة العادية ويولد نموذج إرشاديّ ثوري جديد أو نظريّة جديدة تؤطّر أدبيّات العلم وأنظار العلماء، وهذا ما يعرف بالنّماذج العلميّة أو مجتمعات البحث العلمي. فهل استجاب اللّسانيون لهذه الأزمة كما قرّر توماس كون وكارل بوبر، وهل أسهمت أعمالهم في تقديم دراسات أو حلول ناجعة لهذه الأزمة الحاصلة؟

الملاحظ في مسرح البحث أنّ أول استجابة بعد تنافس التّيارين؛ بالتّحديد بعد نقد اللّسانيّين الوصفيّين للتّراث اللّغوي عامّة والنّحوي بصفة أخص، هي: **"إمكانيّة التّقريب بين الثّقافتين اللّسانيّتين"**، لذلك ظهر طرف ثالث أو تيّار ثالث من نفس الجيل؛ جيل الروّاد المتشبّع بالثّقافة اللّسانية الغربيّة والملمّ بالنّظريّة اللّغويّة التّراثيّة، وجعلوا بعض أعمالهم تدور في فلك نظريّة: **"لسانيّات التّراث"**؛ حيث جمعوا بين ما هو علمي في نظريّة التّراث اللّغوي وحاولوا مقاربتها في ضوء المناهج اللّسانيّة الحديثة، وحتّى يتسنّى لهم هذا الجمع كان لا بدّ "أن يكون نهج العلوم اللّغويّة توتّرًا محسوبًا بين "المعياريّة" و"الوصفيّة"؛ معياريّة تحفظ اللّغة من التّحلل والانهيار، ووصفيّة تفتح لها آفاقًا للتّطوّر والارتقاء"(ينظر: مصطفى، 2007، ص 183)، ولكن قياس توتّر هذا النّهج كان ذا مجهود فردي، الأمر الّذي أسهم في تأخّر بلورة نظريّة **"لسانيّات التّراث"**. وبما أنّ الإبستمولوجيا تبحث في موضوع **"إمكان المعرفة"**، جاز لنا أن نتساءل التّساؤلات الإبستمولوجيّة الآتية: هل المعرفة اللّسانيّة المستمدّة من التّراث اللّغوي والنّظريّات اللّسانيّة الجديدة ممكنة؟ وكيف نتمكّن من نحت معرفة لسانيّة واحدة من مصادرتين معرفيّتين مختلفتي الآليات والمبادئ؟

والجواب: يكون ذلك وفق **"مبدأ المناقشة العقلانيّة النّقدية"**، الّذي هو نوع من الحواريّة المبنيّة على الجدل والمناظرة والنّقد والتّحليل والمراجعة والاستفادة من حكمة وأعمال الآخرين؛ لذا يتم إجراؤه وفق تقنيات وضوابط يحدّدها العمل العلمي الجماعي البعيد عن العنف والقائم على الحجّة، بغضّ النّظر عن الاختلافات، بل إنّ هذه الاختلافات المعرفيّة والثّقافيّة هي الّتي تصنع نوعا من التّشعّب العلمي والمعرفي على رأي طه عبد الرحمن[4]، وهنا يمكن أن يصل العلم إلى درجة التّداخل والانصهار النسبي في نماذج علميّة جديدة تسهم في صقل نظريّة **"لسانيات التّراث"**.

ومن هذا المنطلق سنعتمد سلّميّة تراتبيّة يقترحها بوبر لتحقيق **"مبدأ المناقشة النّقديّة"**؛ وهي تشتمل على أربعة نقاط: مشكلة- حلّ مؤقّت- النّقد وحذف الأخطاء- مشكلة جديدة.(ينظر: بوبر، 2003، ص 188)، وبيانا لما بدأناه، واعتمادا على هذه المنهجيّة نرى أنّ المشكلة المطروحة هي **"مشكلة القطيعة المعرفيّة"** بين اللّسانيّات والتّراث اللّغوي القديم، وقد امتثل- كما رأينا- اللّسانيّون الرّوّاد لمحاولة وضع نظريّة **"لسانيّات التّراث"** كحلّ مبدئي للتنافس العلمي بين التّيارين، ولحدّ الآن الخطوات صحيحة، وما نفتقده هو بقيّة الخطوات؛ تفعيل المناقشة النقديّة وإيجاد الحلول المناسبة لهذه النّظريّة، وتفنيد الأخطاء والمعرفة الزّائفة، وخلق مشكلات جديدة؛ وهكذا يبقى نسق النّظريّة دائما مفتوحا وقابلا للتّطوير. ولتفعيل النّقطة الثّالثة المتعلّقة بالمناقشة النّقديّة، نقترح الاعتماد على **"نظريّة الاحتماليّة"**، الّتي تُعَدُّ عنوان الإبستمولوجيا المعاصرة في مقابل **"نظريّة الحتميّة"** الّتي تُعَدّ

عنوان الإبستمولوجيا الكلاسيكيّة تحت شعار: **"لكلّ معلول علّة أحدثته"**؛ فهناك دائما ترابط حتمي بين النّظريّات، أوبين مبادئ العلم، وليس هناك فسحة إلّا لسبب واحد يخدم العلم وتُفسَّر في ضوئه المسبّبات.

ولكن إذا أبدلنا التّفكير الحتمي بالتّفكير الاحتمالي؛ فستصبح كل الأحداث مرشّحة ومحتملة بعيدا عن الضّرورة والحتميّة؛ وبالتّالي يصبح أفضل الحلول وأرجحها التّنبّؤ العلمي بما سيحدث دون البتّ بشيء معيّن(ينظر: الخولي، 2014، ص 115)، وهذا يسمح بفسحة أكبر لنظريّات مختلفة، أو لنقل أعمال اللسانيّين المتعدّدة في حقل لسانيّات التّراث. ورغم عدم انقياد الفريقين إلى تحقيق المناقشة النّقدية، فإننا نجد على الأقل في رؤى اللّسانيّين المؤمنين بإمكان قيام نظريّة: **"لسانيّات التّراث"** نوعا من التّقريب العلميّ والمنهجي بين النّظريّتين المتنافستين؛ فهذا مازن الوعر يقول: "إنّ حلّ مشكلة أزمة التّراث والحداثة متعلّق بفهمنا للمنهج الفكري والفلسفي اللّساني الّذي أخذ به العرب القدامى في دراساتهم اللّغويّة. ولا يمكننا فهم ذلك المنهج فهما موضوعيًّا وعلميًّا عادلا إلّا إذا جنّدنا أنفسنا تجنيد الرّهبان وذلك لسبر هذا التّراث الضّخم والجمّ والمبعثر. فإذا استطعنا إعادة صياغة هذا المنهج الفكري الفلسفي للّسانيّات العربيّة القديمة صياغة علميّة ومضبوطة فإنّه يمكننا بعدها أن نفتح نوافذ ثقافتنا العربيّة المعاصرة على المناهج اللّسانيّة الغربيّة"(الوعر: 1983، ص 74). وهذا يبصّرنا بعدم الرّكون إلى تلقّي التّراث اللّغوي أو اللّسانيات المعاصرة إلّا بمجهر علميّ فاحص لكليهما، لانتخاب ما هو علميّ وترشيحه لإمكان تحقيق معرفة لسانيّة تراثيّة تتجاوز مجرّد التّلقّي إلى الاستلهام من النّظريّتين والإبداع فيهما.

4.إمكان المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة بين استلهام التراث والإبداع في دراساته

يتّفق كثير من الباحثين على أنّ ثنائيّة التّراث والحداثة باتت إشكاليّة محوريّة في مختلف المجالات العلميّة والفكريّة؛ وقد نظروا إليها أنظارا شتّى ومختلفة؛ فقد توجّه العلمانيّون والحداثيون العرب إلى نقد التّراث العربي والإسلامي، وعلى النّقيض من ذلك تظهر جليّة رؤى السّلفيّين في دعوتهم إلى التّقليد الأعمى وإضفاء هَالةٍ مقدّسة على التراث لا تقبل المراجعة ولا النّقاش في أيّ جانب من الجوانب. ومن المهتمّين بنظريّة التّراث فهمي جدعان؛ الّذي يرى "أنّ قضيّة التّراث ستظلّ أحد هواجسنا الرّئيسة في السّنوات القابلة من هذا القرن، وإلى أنّها، إن لم توضع بعد ذلك وضعا صحيحا، قد تصبح مصدر قلق مقيم وحيرة دائمة للأجيال الّتي ستنحدر من أصلابنا"(جدعان، 1985، ص 13)؛ هذا القلق والحيرة مصدرهما هو اصطدام هذا التّراث العام واللّغوي خاصّة بحضارة غربيّة منفتحة ومتطورة، وهذا التّراث المتراكم عبر حقب عدة لم تطله يد التّغيير ولم يطوّر تطويرا يصبّ في خدمته وإحياءِ ما يصلح ويواكب وينافس هذه الحضارة، خاصّة في عصرنا هذا عصر العولمة ومجتمعات المعرفة؛ فما يراه المهتمّون بترقية نظريّة التّراث اللّغوي، لا ينشد التّجاوز والقطيعة، بل على العكس من ذلك، سيُبقِي تطويرُها حضورَها أبديّا ويفتح الآفاق للأجيال القادمة لمواصلة طريق التّقدّم، في ميادين علميّة مستقلّة وبينيّة؛ لأنّ مطلب الاستقلاليّة مفيد في تحديد الأسس الإبستمولوجيّة والعلميّة الّتي يمكن أن توجّه دفّة لسانيّات التّراث دوما، ومطلب البينيّة فهو

مقاربة إشعاعيّة؛ تفتح نسق التّراث اللّغوي على أطر ثقافيّة في مجالات العلوم الإنسانيّة من جهة الموضوعات المتداخلة، وذات التّخصّص الواحد، وتفتحه من جهة ثانية على دراسات العلوم الدّقيقة العابرة بنطاقها إلى ميدان العلوم الإنسانيّة بصفة عامّة، واللّسانيّات بصفة خاصّة.

ومن اللّسانيّين البارزين الّذين أكّدوا على هذه الحقيقة، أي الاستفادة من التّراث وبعثه من سباته الأستاذ نهاد الموسى؛ يقول: "وصفوة القول أنّ التّراث – بما هو منجز إنساني تاريخي- متفاوت في قيمه البقائيّة. ولكنّ شطرا عظيما منه – على تعاقب القرون- ما يزال صالحا باقيا بل معاصرا بل مرشّحا للخلود، ويمثّل رافدا لبقاء العربيّة واستمرارها على الزّمان"(الموسى، 2007، ص 54)، ولا يخفى علينا فائدة الإضراب في تقرير استمراريّة هذا العطاء التّراثي، إلّا أنّ جزءًا منه لم يعد صالحا للتّواؤم مع معطيات وتحدّيات الحياة المعاصرة؛ لذلك يرى أنّ بعثه وإحياءه نسبيّ، ولأجل ذلك يقترح علينا منهجا علميّا مبنيًّا على: الفرز والتّطوير والتّقريب؛ ويتّضح ذلك من قوله:" ويظلّ فرز هذا الشّطر العظيم من الباقيات الصّالحات، وتطوير "مناهج" مناسبة لقراءتها، وتقريب متناولها إلى النّاشئة، واستعمالها واستلهامها، مطلبا إحيائيًّا حيويًّا لتحقيق هذه المزيّة الفريدة الّتي تفتح لنا بها العربيّة كتاب التّراث العربي الإسلامي"(الموسى، 2007، ص 54). وهذه المنهجيّة المقترحة تتّفق مع المبادئ الّتي قرّرها كارل بوبر في فلسفته العلميّة؛ فالفرز يتّفق مع **"مبدأ الانتخاب"**، والتّطوير يتّفق مع فكرة التّقدّم العلمي المقتضي لتجاوز الأخطاء وبقاء الأصلح، والتّقريب هو نوع من المناقشة العقلانيّة الهادفة، وما يؤخذ على هذا القول الثّاني فكرة الاستلهام الّتي تتعارض أساسا مع تطوّر العلم؛ لأنّ "عمليّة ((الاستلهام)) ليست إلّا عمليّة ((تسويغ)) لقيم الحاضر بإسقاط غطاء تراثيّ عليها"(جدعان، 1985، ص 26)، وهذا عين ما سنرصده في تفكير أصحاب الدّراسات الإسقاطيّة.

وعلى هذا الأساس تنقسم الدّراسات الّتي تصبّ في مجال لسانيّات التّراث إلى قسمين، ويندرج تحت مظلّتها رؤيتين مختلفتين في التّعامل العلميّ مع التّراث اللّغوي؛ الأولى هي: **الدّراسات الاستلهاميّة**، والثّانيّة هي: **الدّراسات الإبداعيّة**، وسنحاول بيان دورها في إمكان تحقيق المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة، وبيان مدى نجاعتها العلميّة في ذلك الشّأن.

1.4.الدّراسات الاستلهاميّة

يرتكز أصحاب هذه الرؤية الاستردادية على محور تدور عليه مختلف أعمالهم وهو **"التّأثيل"** ؛ وذلك من خلال البحث عن أصول هذا العلم الغربي الجديد في مدوّنة التّراث، وهذا ما جعل قراءاتهم قراءات إسقاطية بعيدة كلّ البعد عن العلميّة والموضوعيّة، وهي إن شئنا نسمّيها: **"قراءات استلهاميّة"**، ولا يخفى علينا ما في كلمة استلهام من الرؤى الانطباعيّة و الأحكام الذاتيّة والعاطفة. ولعلّ أكثر ما يميّز الدّراسات الاستلهاميّة هو بيان سبق العرب في تطبيق المناهج اللّغويّة وبيان أفضليّة اللّسان العربي على بقيّة الألسنة البشريّة، ومن جهة المنهج فهي تعتمد المنهج المقارن أو المنهج التّقابلي. وإذا أردنا أن نؤسّس نظريّة علميّة فعلينا ترك أفكار كالتّحيّز والأفضليّة وغير ذلك؛ فليس هناك داع للتّحيّز من منطلق أفضليّة وسبق العرب إلى الشّيء، فهذه نظرة بعيدة عن العلميّة؛ لذلك يرى كثير من اللّسانيّين النّقاد مثل المزيني(2004، ص 9- 10) وغلفان(2010، ص 199)

وعلوي(2009، ص 91- 92) أن الدّراسات الّتي تحاول تأصيل الدّرس الألسني الغربي في التّراث العربي هي دراسات ولائيّة وفيها نوع من التّحيّز اللّغوي والاستعلاء وإثبات الأفضليّة دوما للعربيّة؛ ومن ذلك مثلا قول أحد الباحثين: "كانت البداية الأولى في القرن الأوّل الهجري، قد شهدت البحث الألسني الوصفي المنقطع النّظير في المنهج والطّريقة، للوصول إلى حقائق العربيّة، وإدراك أسسها وتراكيبها بالملاحظة والوصف، وأبرز (كذا) ما هي عليه من النّظام والبناء وخصائصها، حتّى انتهت إلى وضع المؤلّفات والكتب"(العبيدي: 2000، ص 13)، وفي هذا القول إسقاط مباشر للتّراث اللّغوي على لسانيات **فردينان دو سوسور Ferdinand de Saussure**، ودلالة المصطلحات الّتي استعملها في قوله مثل: البحث الألسني الوصفي، المنهج، الملاحظة، الوصف، النظام، البناء، دالّة على ذلك. وفي مجال المفاضلة بين الألسن البشريّة يرى مصطفى غلفان أنّه "ليس هناك تمييز أو مفاضلة بين "لسان" و"لسان"؛ فجميع الألسن متساوية أمام البحث العلمي"(غلفان، 2010، ص 199)؛ فينبغي على اللّساني أن يكون مستقلّا في دراسته للنّظام اللّغوي، وهذا منطقيّا؛ يجعل اللّغات الطّبيعيّة في سلّة واحدة، وينزع عنها مقولات التّشريف وهالات الجلال الّتي وصفت بها؛ من مثل أفكار: قداسة اللّغة، وأفضليّتها، وعراقتها...إلخ. على سبيل المثال تظهر نظرة الأفضليّة والأسبقيّة في دراسات الدّكتور كمال بشر في كتابه: **"التّفكير اللّغوي بين القديم والجديد"**؛ حيث يقول: "ويقتضينا العدل والانصاف أن نقرّر أنّ العرب بذلوا جهودًا جبّارة في خدمة لغتهم، ونظروا في كلّ جوانبها نظرات عميقة شاملة. ولم يفتهم في واقع الأمر شيء يعرض له الدّرس اللّغوي الحديث من مسائل تتعلّق بمادة اللّغة، بل زادوا عليها وأضافوا إليها موضوعات انفردت بها اللّغة العربيّة، وكانت نظرتهم إلى لغتهم نظرة عمليّة، حيث دفعهم حرصهم عليها والاعتزاز بها إلى دراستها دراسة جادّة، تضمن صيانة لغة القرآن الكريم من التّحريف واللّحن على كلّ المستويات اللّغويّة"(بشر، 2005، ص 273). ونستطيع أن نبيّن من خلال هذا القول الجامع المقتضب رصد التّماثلات والمفارقات بين الثّقافتين اللّسانيتين العربيّة التّراثيّة والغربيّة الجديدة، خصوصا إذا علمنا أنّ الدّكتور كمال بشر بيّن هدفه من وضع الكتاب، وعبّر عنه بلغة الحصر قائلا: "ولسنا نرمي من ذلك إلى عقد مقارنة بين الجانبين القديم والجديد، وإنّما إلى مجرّد الكشف عن أهمّ نقاط الاتّفاق والافتراق بينهما، آخذين في الحسبان عامل التّطوّر الزمني والفكري معا"(بشر: 2005، 6)، ومن خلال الجدول الآتي يمكننا حصر أوجه الاتّفاق والافتراق:

جدول (1): أوجه الاتّفاق والاختلاف بين النّظريّة اللّغويّة القديمة والنّظريّة اللّسانيّة الوصفيّة

	المعرفة اللّسانيّة العربيّة القديمة	المعرفة اللّسانيّة الغربيّة الجديدة
الأدوات والآليات	الجهود الجبّارة، الدّراسة الجادّة	الملاحظة، الفرضيّة، التّجربة، الوصف، التّفسير
المنهج	النّظرة العميقة الشّاملة، النّظرة العمليّة	الاستقرائي التّجريبي، الاستنباطي العقلي

الدّافع	الحرص على اللّغة والاعتزاز بها	تحصيل نتائج علمية دقيقة
الموضوع	المستويات اللّغوية، موضوعات انفردت بها اللّغة العربيّة	دراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، مسائل تتعلّق بمادة اللّغة
الهدف	صيانة لغة القرآن الكريم من التّحريف واللّحن	تطبيق النّظريّات في ميادين مختلفة

وما يستوقفنا في كلام الدّكتور كمال بشر هو إشارته إلى أنّ العرب القدماء لم يفتهم في واقع الأمر شيء يعرض له الدّرس اللّغوي الحديث من مسائل تتعلّق بمادة اللّغة كما أنّ دراساتهم استفردت بموضوعات تخصّ اللّغة العربيّة؛ إلّا أنّه عاد ليطابق بين دراسات العلماء العرب ودراسات المحدثين من حيث العموم والشّمول؛ فيقول: "نستطيع أن نقول إنّ ميادين البحث في اللّغة عند العرب تشبه أو تماثل- من حيث العموم والشّمول – تلك الّتي نشغل بها أنفسنا اليوم"(بشر: 2005، ص 274)، ثم يحاول إسقاط علوم اللّغة العربيّة القديمة والّتي عددها اثنا عشر علما على ما يماثلها في الدّرس اللّساني الحديث، ولكنّه يخلص إلى أنّ هذه الدّراسات تتفاوت في إسقاطها على مستويات وجوانب اللّسانيات المدروسة حديثا(بشر: 2005، ص 280). وهذه الأقوال وإن كانت تهدف إلى بيان أوجه التّماثل، فهي توحي من جهة مقابلة بتباينهما، فليس بالضرورة أن تكون الإسقاطات (التّشابه والتّماثل بينهما) الّتي عقدها كمال بشر هي نفسها؛ إلاّ إذا اعتبرنا ذلك من باب المقاربات، لأنّ واقع البحث اللّساني الحديث والمعاصر يبطل وجهة الرّأي هذه، خاصّة إذا علمنا أنّ اللّسانيات نادت بالقطيعة الإبستمولوجيّة مع الموروث اللّغوي القديم، كما أنّها تميّزت باستقلاليتها معرفيًّا، وعلى هذا الأساس تندرج الثقافتين اللّسانيّتين في جوانب معرفيّة عدّة على أساس التّقاطع الحاصل بينهما بسبب اختلاف الآليّات والوسائل والمناهج والمقاصد؛ وهذا ما أكّده المسدّي؛ حيث رأى أنّ "الوصفيّة والمعياريّة مقولتان لا تنتميان على صعيد فلسفة المعارف إلى نفس المنطلق المبدئي ولا إلى نفس الحيّز التّصوّريّ فليستا من طبيعة واحدة حتّى تتسنّى مقارعة إحداهما بالأخرى، فليس لزاما أن تقوم بينهما علاقة مَّا: من توازٍ أو تصادم أو تطابق. فهما مصادرتان فكريّتان مستقلّة كلتاهما عن الأخرى"(المسدي، 1986، ص 15).

2.4.الدّراسات الإبداعيّة

إنّ الرؤية الثّانية الباحثة في حقل "**لسانيّات التّراث**"، هي الّتي تعترف بأن اللّسانيّات علم غربي معاصر ظهر على يد دو سوسور[4]، لذلك يحاول روّادها قراءة التراث في ضوء اللّسانيات قراءة تقييميّة نقديّة تقدّميّة، تأخذ بما هو علميّ وموضوعي في النظرية اللّغويّة القديمة، وتبني عليه دراسات جديدة مستفيدة من النّظر العلمي الجديد في وصف وتفسير اشتغال أنظمة اللّغات، وهذا التّوجّه يمكن وصف قراءاته، بأنّها: "**قراءات علميّة إبداعيّة**".

ومن اللّسانيّين الّذين يملكون نظرة علميّة ودراسة شموليّة في هذا المضمار الدّكتور عبد السلام المسدي، حيث استثمر اللّسانيات من موقعها المعاصر في قراءة بعض مدوّنات التّراث شارحا ومفسّرا

لمقوّمات اللّغة(علاقتها بالإنسان، أصلها ونظريات نشأتها، المواضعة وقضاياها، الاعتباط، التلازم، الاكتساب...إلخ)، وكذلك مقوّمات الحدث الكلامي(الكلام والمكان، الكلام والزّمن، الكلام وفاعله، الكلام والشّمول...إلخ)، بل إنّ قراءته تكشف نواميس الظّاهرة اللّغويّة وهي في نفس الوقت"...تتجذّر في بؤرة الحدث اللّساني بحثًا عن المحور الأفقي الّذي يخرق أنسجة القواعد المختلفة في منظومة التّراث العربيّ لغةً وأدبًا ودينًا وفلسفةً وعلم اجتماعٍ"(المسدي، 1986م، ص 34) مستعينا ببعض مبادئ اللّسانيات العامّة الّتي ساعدته في إبداع قراءة متناسقة بعد تحوير مفهومها المعهود في اللّسانيّات السّوسوريّة.

فمن جوانب إبداعه مثلا أنّه لم يلتزم بـ "**مبدأ الآنية**"، الّذي تنصهر فيه الدّراسات اللّسانيّة السّانكرونيّة؛ ولكنّه أعطاه صبغة علميّة جديدة تتعلّق بمنهج إعادة القراءة؛ لأنّ القراءة في التّراث قراءة استرداديّة، وهذا يتنافى مع مبدأ الآنيّة وكذلك مع مبدأ القطيعة الإبستمولوجيّة، لذلك نجده يبرّر قراءته الّتي عقدها في خاتمة كتابه **"التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة"** قائلا: "ولقد أوقفنا المنهاج الّذي ارتسمناه واحتذيناه وفق مسار بحثنا على استثمار مبدئي يتنزّل على مستوى الطّرق الاختباريّ والتّشريح الحضوريّ، وذلك منذ أن احتكمنا إلى مبدأ النّظرة الآنية فاتّخذنا التّراث كلاًّ لا يتجزّأ ولا يتمفصل على محور الزّمن"(المسدي، 1986م، ص 369)؛ فهو بذلك يعقد موازنة تقوم على معيار تحويل الزّمن المتعاقب إلى تزامن وحدوي؛ أي أنّ الفترة اللّغويّة القديمة بمختلف مراحلها تعتبر مرحلة تزامنية واحدة في مقابل المرحلة الحديثة والمعاصرة؛ "ويعود ذلك فيما يعود، إلى أنّ الثّقافة العربيّة، بمظهرها الكلّيّ، تكوّنت واستقامت في دائرة دينيّة واحدة، وذلك أدّى إلى أنّ مكوّناتها المختلفة، تتّصل فيما بينها، على صعيد الرؤية والمحتوى، وأحيانا الرّكائز والأنظمة والأبنية، على الرّغم من توزعها بين حقول متعدّدة" (إبراهيم: 1992، ص 6)، ومادام الّذي أنتجه العقل الباحث في فترات التّراث يعتمد في الغالب نفس الوسائل والمناهج والآليات فإنّه سيكون له نسق تفكيري موحّد على مستوى المخرجات العلميّة والنّتائج. ومن النّاحية الإبستمولوجيّة يؤكّد هذه الحقيقة **جان بياجيه Jean Piaget** صاحب التّوجّه الإبستمولوجي التّكويني الّذي يقوم على أدبيّات علم النّفس المعاصر، فهو يقول: "إنّنا لا نستطيع أن نقول من جهة إنّ ثمّة تاريخ للتّفكير العلميّ، وإنّ مادّة الفكر العلمي من جهة أخرى لا تزال كما هي عليه إلى اليوم، بل إنّ هناك ببساطة تحوّلاً مستمرًا وإعادة تنظيم مستمر"(بياجيه، 2004م، ص 37)، فجان بياجيه ينفي من خلال هذا القول وجود تاريخ للعلوم يتطوّر عبر الحقب الزّمانيّة، أو بالأحرى هو ينفي الرّؤية التّراكميّة للعلم القائلة بحدوث ثورات علميّة في تاريخ العلم؛ تنقل العلم من العلم السّويّ إلى العلم الثّوري الإرشادي، وأنّ كلّ عصر تؤطّره نماذج علميّة خاصّة، ويظهر جليًّا التّفكير البنيوي والنّسقي في طرح بياجيه؛ من خلال إقراره من جهة بفكرة تزامن المادّة العلميّة بقوله: **"وإنّ مادّة الفكر العلمي من جهة أخرى لا تزال كما هي عليه إلى اليوم"**، ومن خلال إقراره من جهة ثانية بوجود بنية علميّة تحكمها علاقات منطقيّة وسيكولوجيّة تتحكم في مجرى العلم وتساهم في إطّراد بنية التّفكير العلمي دوما؛ وهذا واضح في قوله: **"بل إنّ**

هناك ببساطة تحوّلا مستمرًّا وإعادة تنظيم مستمر"؛ والتّحوّل وإعادة التّنظيم يكونان على مستوى عناصر النّسق الفكري وعلاقاته.

ونجد مثل هذا الإبداع عند اللّساني الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح - رحمه الله- في دراساته الإبداعيّة لنظريّة العامل النّحوي وغيره، حيث جعل التّراث اللّغوي أساسا في دراسته و"وجّه نقدا صارما للبنوية في نزعتها الوصفيّة المغالية، كونها تعارض الاحتكام إلى المعيار وترفض كلّ محاولة إلى تعليل الظّواهر اللّغوية، فالمعيار عنده ظاهر يجب الاعتداد به وهو هذا المجموع المنسجم من الضّوابط الّتي يخضع لها بالفعل كلّ النّاطقين أو أكثرهم"(بوشحدان، 2010، ص 27)؛ فهو يحقّق صفة الاجتماعيّة الّتي تحكم نظام العربية وإن لم يكن يتميّز بصفة الآنية؛ "كما أن الدّراسة المتزامنة لحالة اللّغة ليست بالموضوع اللاتاريخي أو اللااجتماعي"(لوسركل: 2005، ص 80)، فالنزعة البنيوية أوغلت في رفض كلّ ما هو تاريخي أو تراثي بناء على أنّه تطوّريٍ، ولم تراع التّفسير العلمي لانتقال المعيار اللّغوي الممثّل لنظام العربيّة دون تطوّر أو تغيير يُذكَر. وبخصوص هذا الصّدد يقول عبد الرحمن الحاج صالح: "فالنّحاة العرب الأوّلون قد التجؤوا هم أيضا إلى السّماع ودوّنوا كلام العرب وربّما يقول قائل إنّهم قد حصروا اللّغة في هذا المعيار الّذي سمّوه بالفصحى وتركوا غيره"(الحاج صالح، 2012م، 213/1)، حيث يخلق هذا المعيار نوعا من التّزامنية الضمنيّة في ضمائر أبناء العربية وإن لم يعايش بعضهم بعضًا، خصوصا إذا عرفنا أنّ الوصف اللّغوي والنحوي لنظام العربية في تأسيسه الأوّل مع الخليل والكسائي وسيبويه وغيرهم، كان يشابه آليات وضوابط الوصف العلمي الّذي قرّرته اللّسانيات الحديثة، فمنشأ النّحو كان علميًّا وصار بعد زمن معياراً راسخًا. وهذا ما يجعلنا نؤكّد على اعتبار ما يصلح في النّظام المعياري للّغة العربيّة بنية متناسقة حافظت على عناصر بنية اللّغة العربية- ولو على سبيل المقاربة- عند فصحاء العرب القدامى؛ وهي بنية عصيّة على التّفنيد كما حاول ذلك الوصفيّون، ووقفت في وجه كلّ المحاولات الّتي أرادت المساس بها، وهذا ما يعطي المعياريّة حضورا علميّا لا يقلّ أهمّيّة عن الحضور الوصفي والتّوليدي لقواعد العربيّة، ويرشّحها للتّطوير العلمي دوما، على أنّنا يمكن أن نقترح فرضيّة الإعراب التّداولي المؤسّس على ركيزتين؛ ركيزة الملكة الفطريّة وهي جبلّة فينا كما قرّر ذلك تشومسكي، وركيزة الملكة المكتسبة وهي مناط الصّعوبة في جانبها التّعليمي، لذلك لتحقيق تداوليّة نوعيّة في هذا الإعراب لا بدّ من تفعيل حلول إجرائيّة مؤثّرة كالانغماس اللّغوي مثلا.

ولعلّ سبب ثبات اللّغة العربيّة على هذا المعيار اللّغوي المتجذّر هو اتّصافه بمبدأ القوّة في التّفسير العلمي لنظريّة اللّغة العربيّة وانسحاب هذا الثّبات على الفكر وتوغّله فيه، بل إنّ الأمر أحيانا يتجاوز اللّغة إلى مؤسّسات وميادين أخرى ذات مكانة اقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة مرموقة تعكس ذلك الفكر لدى غالبيّة السّكّان كما يرى **نورمان فيركلوف Norman Fairclough** ، وذلك بسبب اطّراد وسيرورة الطّابع الرّسمي المعياري لوحدة الأمّة ونشاطها الاجتماعي في الحقب التّاريخيّة المتلاحقة(ينظر: فيركلوف، 2000م، ص 92)، وهذا ما يوحي بأنّ اللّغة الرسميّة لأمّة العرب تعكس نسقها الثّقافي الرّسمي، ويلزم عن ذلك القول باستضمار المعيار اللّغوي للنّسق التّفكيري لدى العرب،

ويبقى هذا المعيار الممثّل لبنية العربيّة الفصحى متساميا وحاضرا في مختلف الأطوار، مع أخذه لأشكال متباينة بعض الشّيء.

ولعلّ المقولة العلميّة الّتي كانت تؤطّر عملي عبد السّلام المسدي وعبد الرحمن حاج صالح هي مقولة النّسق أو البنيّة؛ فاعتبار التفكير اللّغوي التّراثي وحدة بنيويّة متناسقة وحاضرة تجريديًّا ومنهجيّا في أغلب الأعمال الممثّلة لمدوّنة التّراث، واعتبار المعايير اللّغويّة وحدة بنيويّة متناسقة حاضرة فكريًّا وعرفانيًا في أذهان العرب إبداع علميّ يرشّح التّراث دائما للدرس العلمي والبقاء صامدا في وجه الدراسات النّقديّة الّتي حاولت تفنيده. وهذه الدّراسات وأمثالها مفيدة للمهتمّين بنظريّة **"لسانيّات التّراث"**؛ وذلك من جهة الرؤية الإبستمولوجيّة في إمكان المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة؛ لأنّها تنتهج منهجيّة منتظمة كتلك الّتي وضّحناها في إبستمولوجيا كارل بوبر؛ فهي تبدأ من التّراث اللّغوي تجعله مجموعة من الفرضيّات والمعطيات والأحكام العلميّة المسبقة، وتقاربها في ضوء المعطيات اللّسانيّة الحديثة، وبعد اشتقاق القضايا المناسبة تعرض للاختبار لتحصيل النّتائج الأوّليّة (يمكن عدّها بوادر المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة كما رأيناها في قراءتي المسدي والحاج صالح)، فإذا تمّ تدعيمها وتعزيزها بالملاحظات والتّجارب المختلفة وصمدت أمام الاختبارات يتمّ اعتمادها كنظريّة علميّة مع بقاء نسقها مفتوحا للنّقد دوما، وإلّا كان مآلها قابليّة التّكذيب؛ تكذيب النّظريّة برمّتها أو تفنيد وحذف بعض قضاياها ونتائجها الّتي لا تسمح بانتظام منطق النّظريّة، ممّا يلزم عنه إعادة النّظر والمراجعة وتنظيم القضايا.

يتّضح لنا ممّا سبق أن القراءة المنهجيّة الّتي انتهجها هذان العالمان، والّتي اعتمدناها مدخلا معرفيا في إمكان تحقّق المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة علميّة وموضوعيّة بامتياز؛ وفيها نوع من الإبداع المعرفي المبني على آليات إبستمولوجيّة قويّة، وإضافة إلى ذلك، فإن هذه القراءات تمدّنا بخبرة لسانيّة تراثيّة شبه يقينيّة؛ لأنّها اعتمدت منهج الفرض الاستنباطي الّذي يراه كارل بوبر دعامة قويّة للعلم أفضل من المنهج الاستقرائي؛ ويتّضح ذلك من اعتبار الأنساق اللّغويّة والفكريّة في مدوّنة التّراث مقدّمات وشروطًا أوّليّة، فهي بهذا الاعتبار تشبه المعرفة القبليّة أو المعرفة الفطريّة السّابقة؛ وهذا ما يجعلنا نحكم بأنّ الطّابع الغالب على الدّراسات اللّسانيّة التّراثيّة هو طابع تحليلي وليس تركيبيًّا، مثلما هو الحال في المعرفة والخبرة المستمدّتين من المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي. ومادامت اللّسانيات العامّة الحديثة مع النّظريّة اللّغويّة القديمة في نقاش عقلاني مستمرّ يهدف إلى تجاوز النّظريات السّائدة بتفنيد الأخطاء وإغناء النّماذج اللّسانية وتقعيد الأنحاء الخاصّة باللّغات، فإنّ ذلك يشفع أن يكون بينهما مقاربات مفهوماتيّة لشرعنة وتحقّق **"إمكان المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة"**، وهذا يتّضح جليًّا في دراسات ورؤى بعض اللّسانيّين؛ والّذين انتخبنا منهم على سبيل التمّثيل عبد الرحمن الحاج صالح، الّذي اعتمد مقولات النحو القديم ونسب تسمية نظريّته الجديدة إلى الخليل مؤسّس النّحو العلمي القديم، وذلك ليعطيها طابعا نحويّا تراثيا ولسانيّا متجدّدا. وكذلك اللّساني عبد السلام المسدي رغم اعترافه باختلاف المصادرتين الفكريتين النّحويّة التّراثيّة واللّسانيّة المعاصرة من حيث طبيعة المعرفة وعلى صعيد فلسفتها العلميّة، فإنّه يرى تشابههما في بعض آليات استخراج الأنظمة

الدّاخليّة للألسنة البشريّة، وفي مفهوم النّظام الدّاخلي وجملة نواميسه المحرّكة للظّاهرة اللّغويّة(ينظر: المسدي، 1986، ص 15)، وقد رأينا جانبا من ذلك في دراسته الّتي أشرنا إليها آنفا، وهذا التماثل بين الثّقافتين يفسح المجال لعقد مناقشات نقدية عقلانيّة بينهما لتجاوز الأزمات الّتي خلقتها اللّسانيات بمفاهيمها الجديدة انطلاقا من المفاهيم المتماثلة والمصطلحات المتشابهة والأدوات الإجرائيّة والمساطر المنهجيّة الفاحصة لنظام اللّغة.

خاتمة:

نخلص في ضوء ما قدّمنا إلى مجموعة من النتائج وهي:

- أنّ المعرفة اللّسانيّة المستمدّة من التّراث والمثقّفة وفق المناهج اللّسانيّة الغربيّة ممكنة التّحقّق وفق الرؤية الإبستمولوجيّة الّتي اعتمدناها ووفق منطق الكشف العلمي لدى كارل ريموند بوبر.
- أنّ هذه المعرفة اللّسانيّة لا يمكن تحقّقها إلّا إذا كان لها طابع تحليلي وليس تركيبيًّا من النّاحية الإبستمولوجيّة؛ وذلك لاعتمادها في استدلالاتها المنطقيّة وبراهين تحقّقها على منهج الفرض الاستنباطي، الّذي تفرضه على المهتمّين بنظريّة **"لسانيّات التّراث"** المعرفة اللّغويّة السّابقة على الدّرس اللّساني الحديث.
- إمكان تحقّق هذه المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة يكمن في طرح النّظريّة اللّغويّة القديمة ومقولاتها العلميّة كمقدّمات وفرضيّات وأحكام مسبقة وشروط أوّليّة، لتعقد بينها وبين النّظريّات اللّسانيّة الحديثة مناقشات نقديّة، ثمّ يقاربان في ضوء الإبستمولوجيا والمنطق والفلسفة وتاريخ العلم، لبيان المشكلات المعرفيّة المتمخّضة عن تلاقحهما والّتي تحتاج إلى حلول، وهذا ما يجعل نسق النّظريّة مشرعا لتقّبل الجديد من الأفكار والمفاهيم والقضايا العلميّة، ويمكن من خلاله اشتقاق النّظريّة وبيان منطقها العلمي.
- إمكان تحقّق هذه المعرفة اللّسانيّة التّراثيّة لا يكمن في التّلقّي السّلبي للتّراث دون استلهام قضاياه، ولا في استلهام قضاياه دون الإبداع فيه، وذلك بإحيائه إحياء حيويًّا يبعث على المثاقفة مع اللّسانيات المعاصرة، وفق مقاربات منهجيّة وقراءات علميّة وموضوعيّة تكون بعيدة عن الانحياز لإحدى الثّقافتين اللّسانيتين، وتدعّم هذه الدّراسات بالملاحظة والتّجريب الصّارم والمتكّرر، وهذا ما يخلق نوعا من التّمحيص العلمي وفق مبدأ الانتخاب بتأييد هذه القضايا الصّامدة أمام الاختبارات، أمّا المعرفة الزّائفة اللّاعلميّة فمآلها التّفنيد وفق مبدأ قابليّة التّكذيب، وهكذا نُزَيِّلُ بين ما هو علمي وممكن الوجود في نظريّة **"لسانيّات التّراث"** عمّا هو زائف وخرافي ولا فائدة ترجى منه إلّا إعاقة العلم عن التّقدّم والتّطوّر.
- بناء على ما قدّمنا فإنّه يمكن وضع استراتيجيّة علميّة لخدمة لسانيات التّراث، بعيدا عن التّحيّز أو الإقصاء؛ وتنطلق هذه الاستراتيجيّة من دراسات العلماء المهتمّين بالتّراث لحصر

المصطلحات والمفاهيم والنّظريّات المتشابهة والمتقاربة، وذلك وفق مبدأ الانتخاب، فيمكن رصد المفاهيم البينيّة والمصطلحات البينيّة بين الدّرسين اللّغويّين القديم والمعاصر، ووفق مبدأ استبعاد الأخطاء أو مبدأ قابليّة التّكذيب بعد الدّراسات النّظريّة الجادّة ثم التّجريبيّة القاسيّة، تتّضح المفاهيم والمصطلحات الّتي تحدّد حقل نظريّة: **"لسانيات التّراث"**.

الإحالات:

1 الإبستمولوجيا في تاريخ الفلسفة الأروبيّة تتفرّع إلى رؤيتين: الرؤية التّحليليّة والرؤية النّقديّة؛ فالأولى تعود إلى التّيّار الإنجليزي المولع بالتّجريبيّات، لذلك هو لا يعترف إلّا بإبستمولوجيا المحسوس الّتي تنبني على المدركات الحسّيّة، والرؤية الثّانية تنتسب للتّيّار الفرنسي المولع بالمعقولات، فهو لا يعترف إلّا بالإبستمولوجيا العقلانيّة الّتي تنبني على التّصورات العقليّة ولا يقف كثيرا عند المحسوسات. للاستزادة ينظر: (علي محمد، [د ت]، ص 36 فما بعدها).

2 يميّز بوبر بين قابليّة التّكذيب والتّكذيب؛ فالأوّل معيار المنطق العلمي الكاشف للأنساق المكوّنة من عدّة قضايا قابلة للتّجريب، أمّا الثّاني فهو يعني إبطال النّظريّة نهائيًّا وفق قواعد خاصّة هي: قبول قضايا داخل النّظريّة تناقض نسقها، وجود فرض تجريبي ولو كان من المستوى الأدنى يوحي برفض النّظريّة بعد تعزيز أحد الفروض إذا صمد للاختبار الموجّه للقضايا المقبولة. للاستزادة ينظر: (بوبر، [د ت]، ص 125- 126).

3 يقول طه عبد الرحمن: "وأمّا مبدأ التّشعيب، فمقتضاه أنّ الأصل في التّكوثر أن تتّخذ فيه الزّيادة صورة شعب متعدّدة يفيض بعضها من بعض، لا صورة الشّعبة الواحدة، ولا يُصار إلى ادّعاء سلوكها لشعبة واحدة إلّا بدليل". للاستزادة ينظر: (عبد الرحمن، 1998، ص 26).

4 اختلف الباحثون في تاريخ اللّسانيّات فيمن أسّس علم اللّسانيّات؛ يقول النّاقد اللّساني مصطفى غلفان: "وعلى الرّغم من أنّ لفظ **لسانيّات *Linguistique*** حديثة العهد، فمن الصّعب الحديث بدقّة عن تاريخ ظهور اللّسانيّات كعلم قائم بذاته، فتاريخ اللّسانيّات يختلف بحسب وجهة النّظر الّتي قد يتّخذها الباحث. وبناء عليه، فإن اللّسانيّات قد تكون نشأت حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، أو مع بوب سنة 1816، أو مع سوسير سنة 1916، أو مع تروبتسكوي سنة 1926، أو مع تشومسكي سنة 1956".(غلفان: 2013، ص 15).

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- أغروس، روبرت م وستانسيو، جورج ن (1989). العلم في منظوره الجديد. د ط. ترجمة: كمال خلايلي. في سلسلة: عالم المعرفة. 134. المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب. الكويت.

- بارتشت، بريجيته. (2004). منهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي. ط1. ترجمة: سعيد حسن بحيرى. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. مصر.

- باشا، أحمد فؤاد. (1984). فلسفة العلوم بنظرة إسلاميّة. ط 1. دار المعارف. مصر.

- بشر، كمال. (2005). التّفكير اللّغوي بين القديم والجديد. د ط. دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع. مصر.
- بكوش، فاطمة الهاشمي. (2004). نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث- دراسة في النّشاط اللّساني العربي-. ط 1. إيتراك للطّباعة والنّشر والتّوزيع. مصر.
- بوبر، كارل. (1992).. بؤس الإيديولوجيا- نقد الأنماط في التّطوّر التّاريخي-. ط 1. ترجمة: عبد الحميد صبره. دار السّاقي. لبنان.
- بوبر، كارل. (2003). أسطورة الإطار- في دفاع عن العلم والعقلانيّة-. د ط. ترجمة: يمنى طريف الخولي. في سلسلة: عالم المعرفة. 292. المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب. الكويت.
- بوبر، كارل. (د ت). بحثا عن عالم أفضل. د ط. ترجمة: أحمد مستجير. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب. مصر.
- بوبر، كارل. (د ت). منطق الكشف العلمي. د ط. ترجمة: ماهر عبد القادر محمّد علي. دار النّهضة العربيّة
- بوستار، بيير. (2006). المعاينة العلميّة والجدل الدّيموقراطي. ط 1. ترجمة: أنور مغيث. في سلسلة: جامعة كل المعارف. ج 1. ما الحياة؟. إشراف: إيف ميشو. المجلس الأعلى للثّقافة. مصر.
- بوشحدان، الشريف. (2010). "الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلميّة في ترقية استعمال اللّغة العربيّة". مجلّة كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة. (ع7). كلّيّة الآداب واللّغات. جامعة محمد خيضر- بسكرة. الجزائر.
- بولكنجهوم، جون. (1998). ما وراء العلم. د ط. ترجمة: علي يوسف علي. المركز القومي للتّرجمة. مصر.
- بياجيه، جان. (2004). الإبستمولوجيا التّكوينيّة. د ط. . ترجمة: السيد نفادي. مراجعة: محمد علي أبو ريان. دار التّكوين. سوريا.
- جبران، سليمان. (2009). على هامش التجديد والتقليد في اللغة العربية المعاصرة. د ط. مجمع اللغة العربية. حيفا.
- جدعان، فهمي. (1985). نظريّة التّراث ودراسات عربيّة وإسلاميّة أخرى. ط 1. دار الشّروق للنّشر والتّوزيع. الأردن.
- الجزار، محمّد. (2004). ثورة العقل- تغيّر واقع الكيان العربي-. ط 1. مركز الكتاب للنّشر. مصر.
- الحاج صالح، عبد الرحمن. (2012، أ). بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة. د ط. موفم للنّشر. الجزائر.
- الحاج صالح، عبد الرحمن. (2012، ب). منطق العرب في علوم اللّسان. في سلسلة: علوم اللّسان عند العرب. د ط. موفم للنشر. الجزائر.
- حسان، تمام (1994). اللّغة العربيّة معناها ومبناها. د ط. دار الثّقافة. المغرب.

- الخولي. يمنى طريف. (1989). فلسفة كارل بوبر- منهج العلم..منطق العلم-. د ط. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب. مصر.

- الخولي، يمنى طريف. (2012). فلسفة العلم في القرن العشرين- الأصول- الحصاد- الآفاق المستقبليّة-. د ط. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. مصر.

- الخولي، يمنى طريف. (2014). مشكلة العلوم الإنسانيّة- تقنينها وإمكانية حلّها-. د ط. مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة. مصر.

- عادل، مصطفى. (2007). المغالطات المنطقيّة- طبيعتنا الثّانية وخبزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري)-. ط 1. المجلس الأعلى للثّقافة. مصر.

- عبد الرحمن، طه. (1998). اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي. ط 1. المركز الثّقافي العربي. المغرب.

- عبد الله، إبراهيم. (1992). السّرديّة العربيّة- بحث في البنية السّرديّة للموروث الحكائي العربي-. ط 1. المركز الثّقافي العربي. لبنان.

- العبيدي، رشيد عبد الرحمن. (2000). "الألسنيّة المعاصرة والعربيّة". مجلّة الذّخائر. (ع1). لبنان. شتاء 1420هـ- 2000م.

- عكّاشة، رائد جميل والجندي، محمد علي وخرمه، مروة محمود.(محرّرون) (2012). الفلسفة في الفكر الإسلامي- قراءة منهجيّة معرفيّة-. ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الو.م.أ.

- علوي، حافظ إسماعيلي. (2009). اللّسانيات في الثّقافة العربيّة المعاصرة- دراسة تحليليّة نقديّة في قضايا التّلقّي وإشكالاته-. ط 1. دار الكتاب الجديد المتّحدة. لبنان.

- غلفان، مصطفى. (2010). في اللّسانيات العامّة- تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها-. ط 1. دار الكتاب الجديد المتّحدة. لبنان.

- غلفان، مصطفى. (2013). اللّسانيّات العربيّة- أسئلة المنهج-. ط 1. دار ورد الأردنيّة للنّشر والتّوزيع. الأردن.

- فريحة، أنيس. (1981). نظريّات في اللّغة. ط 2. في سلسلة: الألسنيّة. إشراف: أنيس فريحة وريمون طحّان. دار الكتاب اللّبناني. لبنان.

- الفندي، محمد ثابت. (1972). أصول المنطق الرّياضي- لوجستيقا- Logistic-. ط 1. دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر. لبنان.

- الفندي، محمد ثابت. (1974). مع الفيلسوف. ط 1. دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر. لبنان.

- فيركلوف، نورمان. (2000). "الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعيّة". ترجمة: رشا عبد القادر. مجلّة الآداب الأجنبيّة. (ع 102). سوريا.

- قاسم، محمّد محمّد. (1986). كارل بوبر- نظريّة المعرفة في ضوء المنهج العلمي-. د ط. دار المعرفة الجامعيّة. الإسكندريّة/مصر.

- كون، توماس وواتكنز، جون وتولمن، ستيفن. (2000). مقالات نقديّة في تركيب الثّورات العلميّة. د ط. ترجمة وتقديم: ماهر عبد القادر محمد علي. دار المعرفة الجامعيّة. مصر.

- كون، توماس. (1992). بنية الثورات العلميّة. د ط. ترجمة: شوقي جلال. في سلسلة: عالم المعرفة. 168. المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب. الكويت.
- لجنة من العلماء والأكاديميّين السوفياتيّين، (د ت). الموسوعة الفلسفيّة. د ط. إشراف: روزنتال ويودين. ترجمة: سمير كرم. مراجعة: صادق جلال العظم وجورج طرابيشي. دار الطّليعة للطّباعة والنّشر. بيروت.
للطّباعة والنّشر. لبنان.
- لوسركل، جان جاك. (2005). عنف اللّغة. ط 1. ترجمة: محمد بدوي. المنظمة العربية للترجمة. لبنان.
- محمد، ماهر عبد القادر. (2000). فلسفة العلوم- المشكلات المعرفية-. ط 2. دار المعرفة الجامعيّة. مصر.
- محمد، ماهر عبد القادر علي. (د ت). فلسفة العلوم- قراءة عربيّة-. د ط. أورينتال. مصر.
- المزيني، حمزة بن قبلان. (2004). التّحيّز اللّغوي وقضايا أخرى. د ط. كتاب الرّياض. (ع 125). المملكة العربيّة السّعوديّة.
- المسدي، عبد السلام. (1986، أ). التّفكير اللّساني في الحضارة العربية. ط 2. الدّار العربية للكتاب. الجماهيريّة العربيّة الليبيّة.
- المسدي، عبد السلام. (1986، ب). اللّسانيات وأسسها المعرفيّة. د ط. الدّار التّونسية للنّشر. تونس.
- الموسى، نهاد. (2007). اللّغة العربيّة في العصر الحديث- قيم الثّبوت وقوى التّحوّل-. دار الشّروق للنّشر والتّوزيع. عمّان/الأردن. ط1. 2007م.
- هوندرتش، تد. (د ت). دليل أكسفورد للفلسفة. د ط. ترجمة: نجيب الحصادي. مراجعة: عبد القادر الطلحي. المكتب الوطني للبحث والتّطوير. الجماهيريّة العربيّة اللّيبيّة.
- الوعر، مازن. (1983). "أزمة اللّسانيّات واللّسانيّين في الوطن العربي". مجلّة المعرفة. (ع 251). وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية. سوريا.
- الوعر، مازن. (1989). قضايا أساسيّة في علم اللّسانيات. د ط، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. سورية.